المقامة البغدادية

عبد القادر اللطيفي ❖

حَدَّثَ ابنُ أبي المجاهد، قال:

لما سقطتْ بغدادُ سقطتَها الثانية في تلك السنة الدامية؛ تقاطَرَ الناسُ على العراق من الآفاق، فامتلأت الأرضُ بهم، وعَجَّتْ بمواكبهم. وكنتُ لما دقّتْ طبولُ النفير، ورأيْنا هويَ الأمة إلى الشفير، وهاجت الأنفسُ والمهَج، وسَقط التعلّلُ والتحجُّج، لَبَّيْتُ داعي الذوْدَ عن الحياض وأنا مسرورٌ وراض. واتّفق لي في الطريق جنسٌ رفيق، كان أعجلَ القومِ للاستجابة وهو يلوِّح بالسَّبّابة وكان يقول

«ويلٌ لأولئك العلوج السَّفَلَةَ، ويلمّهم مِنْ قَتَلَة! ويلمّهم يَسْتحلّون الديار ويَهْدمون الجوامعَ والأسوار. أما عَلِموا أنّها بلادُ الرافديْن، وأنّا سنلقاهم بالحَيْن؟! أما واللّه لَنُثيرنّها عليهم شَعْواء، ولَتَقومَنَّ فوقَ رؤوسهم غبراء »

وكان، من وقتٍ إلى وقت، ومن شدةِ المقْت، يتلاعب بالمسدّس والبندقيّه، ويصيح:

«إنّها الحرب، هيّه سننازلُ بزنادِها الأعداء، ونقارع بشباتها الغرباء فيا لابن معد يكرب وعنترة، سنجوسُ كلَّ جسرٍ وقَنْطرة، وسنطوف كلَّ محلَّة، حتى نَدْفع الذلّة . وسنذبحهم ذبحَ الشاءِ يومَ العيد، ولن تسمعَ لهم من تغريد.»

وكان يتطامن ويتفاحص، ويتباعد ويتراقص.

وتابع ابنُ أبي المجاهد:

وطرأ علينا في سَفَرنا تأخير، ثم عجّلْنا وانطلقَ المسير، ونحن على أحرّ من جمرِ الغضا، نبغي منازلةَ العِدا.. وقد عَلِمْنا أنّ أمّ قشعم قد اشتعل أوارُها، وانتشَرتْ في المعمورة أخبارُها وركبني ـ واللّهِ ـ من ذاك حزنٌ وغمّ، وألمٌ ألمّ. وخشينا أن يفوتَنا الفوْت، ويُهمِلنا الموت .

ولقد خشيتُ أن أموت ولم تَـدُرْ للحـربِ دائرةٌ على ابنيْ ضمضمِ
الشاتمَيْ عِرْضي ولم أشتمْهُما والنـاذريْـنِ ـ إذا لم أَلْقهما ـ دمي

فلما بلغْنا أرضَ العراق، وأوغلْنا في كلّ رستاق، أَلْفيْنا مدينةَ السلام لم تزلْ تُرمى بنارٍ لاهبة، داهيةٍ وراء داهية. وغامت بأمواج السواد السّبعُ الطباق. وكاد يَقْتلنا الاختناق. وكان دجلة يتلكّأ محزونًا ويتعرّج مهمومًا. وقد خلا، وأسفاه، من نفّاطات الرشيد، ومن خليفة سعْد وسعيد، ومن حرّاقاتِ الأمين والمأمون، ويا للهُون! ودَبَّ في الناس خوفٌ وذعْر، كأنّه السُّكْر غير أنّ أنباءَ أمّ قَصْر والبصرة، ما بين الفترة والفترة، كانت كأنّها ريحُ الصبّا على العاشق، وبردُ الرمال على المدْنفِ الوامِق. ثم حَدَثَ أن استقبلَنا رهطٌ بعدَ رهط، تارةً بالهتاف وطورًا باللغط ، يقولون

«حيّاكم اللّهُ يا إخوانَ العروبه، من بغدادَ إلى بعقوبة وحللتُم أهلاً، ووطئتم سهلاً. إنّا اعتدْنا للغادرين نكالاً، وسنسربلُهم بالصَّغارِ سربالاً. وإنّا يا إخوانُ نحتاج المعونة، وقد أُعدمنا أو نكادُ المؤونة. وقد أوقع بنا الحصارُ أيّما إيقاع، فلم نهتدِ إلى يفاع وليس إلاّ على اللّه التوكُّل، وإليه التضرُّعُ والتبتّل. فقاتِلوا بمباركةِ الرحمن، وخوضوا معنا في الميدان.»

فقلنا: «إيْ وحق الأخوّة، وإنّها للغاية المرجوّة بلى وحقِّ قحطان وعدنان، وقد أَغْلَظْنا الأَيْمان، ما أتيْنا إلا لهذا ومثلِه، وللقتالِ وشكله فدَاها الروح مدينة المنصور. فداها الروح جنة الحُور. فداها الروح رصافة الجهمي. فداه الروح قطربل النواسي. فداهما الروح الكرخ والسواد وفداه الروحُ كلّ ما حَوَتْ بغداد. فداها الروح كوفة المتنبي وسماوته، ومربد الفرزدق وبداوته ويا لَبَصرةِ الجاحظ وعلمائها، بنُحاتها وشعرائها! وإنّا واللهِ لجميعها لَقُربان، يومَ تعزّ البلدانُ والأوطان ولتروْنا، إذا حَمِي الوطيس وهانت النفسُ ومعها النفيس، كيف نتبادر إلى المنايا في السرايا.»

❖ ـ كاتب من تونس

قال ابنُ أبي المجاهد:

فبرز لنا امرؤٌ كثُّ السابليْن، أفلحُ متينُ العارضيْن، أسحمُ غليظُ الصّدغيْن، أكرشُ في بزّةِ شخصيْن فصاح في الجمعِ الوافدِ صياحَ القائد: «أوَتقاتلون قتالَ الرجال؟ وهل تَثْبتون ثباتَ الجبال؟» فأجبْنا وقلنا «أجلْ» على عجل. قال

«إنّ الحية لتزحفُ الآنَ في العتبات، وقد انتهكتْ مواضعَ وحرمات وها هم الإنكليزُ مع الأميركان، لسخرية الزمان، يقتحمون المواطئَ العَلوية، ويدوسون المواضعَ الحُسَيْنية. فما رأيكم في لقائهم وتكديرِ مسائهم؟ فإذا كانوا بالنهار من الأُسُود، فَهُمْ بالليل من القرود.. صناديد رعاديد وهم مدجَّجون بالسلاح، ولكنّهم ينهزمون مع الرياح. ما يَدْخلون دارًا إلا أفسدوها، ولا أرضًا إلا نهبوها. ليس لهم أرَب إلا البترُول، عدا ما تُنْبته الحقول. فسيروا على بركة الله، وموعدنا الجنة إنْ شاء الله.»

قال ابن أبي المجاهد:

فأجبنا لبّيْك وسعديْك، وآمين يا ربَّ العالمين. وجمجم رفيقي الذي كان معي في طريقي «يَعِدُنا بالجنّة، فيالَها من منّة!! ما أَظُنُّ مصيرَنا غيرَ الموت الزؤام.»

فتعجّبتُ من هذا الكلام.

❖ ❖ ❖

فلما كنّا بأرضٍ يقال لها النخيلة، قُوتُنا طميْطمةٌ وبصيلة، فاجأتْنا الطائرات والمروحيات، وقد انبثقتْ كما تنبثق الجنّيات، وأمطرتْنا بسيولٍ من نار، ارتفع لها طودُ غبار وقامت أعمدةُ الدخان كالكثبان، لا تفرّق بين أغلب وجبان. وتساقط الرفاقُ عن يمينٍ وشمال، دون قتال الصريعُ والجريح، والمبتورُ والطريحُ وتوالت الغارات، فتفرّقت الجماعات. وكنّا عديدًا فأصبحنا قديدا وكنّا نخال أنّا أشاوس، فنكَبتنا الأبالس. فلما أَنِ انجلى معظمُ الغيْم بعد وقوع الضَّيْم، ثُبْتُ إلى نفسي وإلى رفاقي ونظرتُ إلى الباقي كان القتلى كثيرين، والمنهزمون عديدين ولمحتُ صاحبَ المسدّس والبندقية، صاحبَ الطلعة البهية، وقد نَفَضَ الغبار، وتخلّصَ من العفار، وعلاه اصفرار لا يدانيه صُفار وكان قد بال في سراويله، وتمرَّغَ في سرابيله، وهركل بعد أن هرول، ثم توقَّف وقد شَمَّر. وكنتُ أحسبه يشمِّر عن ساعدِ المساعدة، للجثثِ القائمةِ القاعدة فإذا هو يشمِّر للفرار، وتَرْكِ المصيبةِ لأصحابِ الدار. وأسرعَ في العدْو، قبل عودة العدُو

ثم مضى يومان أو ثلاثة، وقد حلّتْ بالحال رثاثة، وأُبعدنا عن جبهة القتال، وآلت هزيمتُنا إلى الاستفحال. وإذا مَن يقف على رؤوسنا يكاد يدوسنا، ويدعونا واحدًا بعد واحد، ويصرخ في وجوهنا كالمارد: «هبّوا هبّوا لا أبَ لكم، وسحقًا وتعسًا لكم..» فنظرتُ إليه بشقِّ عين، وإذا رفيقي الذي غَبر من يومين! فزعقتُ فيه «ويلَك،» وشهقتُ به «ويحَك!» فقال: «صه وصه. إنّي أردتُ أن أحرِّض الإخوان على أن ندفع الذلّةَ والهوان وإنّي لخاطبكم بلسانٍ ذرب، وقلبٍ حرِب فقد سُلِبنا الوطن، وأوجعنا البدن فما لك يا أخَ الخيفة، تريد الموتَ كالجيفة؟ لئمتْ على الأقلّ أعزّاء، ولننقلبْ شهداء. اسمعْ اسمعْ يا أخا العروبة، يا ابنَ الأمة المكروبة. » فقاطعتُه لنفاقه، وخاطبتُه أمام رفاقه: «ألا تستحي أيُّها الجبان، وأنتَ أمام الأقران، وقد لاحظوا غبورَك، وقِناعَك وسفورَك،؟» فأعرض عنّي غاضبًا منّي. ثم ارتفع على صفاة، ولَوَّحَ في صفاقة بدواة، وهمهم ودمدم:

«انقلوا عنّي الدُّرر، واكتبوا عنّي الغُرر فإنّا لفي ظرفٍ عصيب، وأمرٍ عجيب. ولقد سبقني في هذا الموضع سابقون، نَكَبَهم بالشَّعوبِ ناكبون. وإنّه للعراق يا رفاق..»

ثم صمت قليلاً، وحشرج طويلاً وخطب.

«أما بعد..

فإنّ القتال استَعَرَ استعرارَ الجمرة، نكبنا به الأعداءُ خاصةً وعامة. وهو وحشة ودهشة، وقطعةٌ من عذاب، ودمّلٌ في إهاب. لا ندريَ أهو عقابُ نقمة، أم ثوابُ اختبارٍ ونعمة؟! فمَنْ تولّى عنه غَرِق، ومَنْ ركب إليه رأسَه نَفِق، ومَنْ استأسر ذلّ، ومَنْ تَمَاوت قُتل ويا لَمرارة غِلَب الأعداء، وشماتةِ الألدّاء!! فمَنْ تركه هُجِر هَجرةً بعد هَجرة، فلم تنفعْه شهقةٌ ولا عبرة، وغودِر كما يغادَرُ الجرب في مكانٍ خرِب وسيمَ الخسف، ومُنِع النصف . ألا وإنّي أدعوكم إلى نزالِ هؤلاء العلوج ليلاً ونهارًا، كتائبَ وأنفارًا. وقلتُ لكم: كُرّوا عليهم قبل أن يكرّوا علينا. فوالله ما قَصَفونا إلا أبادونا، وما وَجّهوا إلينا صواريخَهم إلا أصابونا ولكنّكم تقاعستُم، وتخاذلتُم، حتى امتلأ الجوُّ بهم وبطائراتهم، وملك علينا البرّ بأجنادهم. وأنتم تروْن الأخسّاءَ أبناءَ العم سام، مَرَّغَ اللهُ أنوفَهم في الرّغام، قد وَردتْ دباباتُهم الأنبار والأهوار، وقَصَفوا المساكنَ بالحمم، فامتزج الترابُ بالدم. ولقد بلغنا أنّ العلْج منهم كان يُمْسك بالشيخ الجليل، والرجلِ الكهلِ الطويل، فيدفعه من قذاله، ويضربه كما بدا له، ويقيِّده بأغلاله، ما يمتنع عنه ولا بالاسترحام والاستعطاف. ثم يعودون إلى عرباتهم، ويلوذون بمدرَّعاتهم. لا يلحق الواحدَ منهم أذًى، ولا خدشٌ في بدن. أفلا يتفطّر القلبُ لهذا، ولا يستّاقطُ الدمعُ رذاذا؟؟ فيا عجبًا لهذه الأمة، المنكوبةِ بالغمّة، كيف توطَأُ في مواطنها، وتُرزأ في محاسنها! قبحًا وترحًا! وقد ظننّا أنّ عصورَ الاستعمار قد ولّت، وذهبتْ واضمحلّتْ. وإذا هي كالحيّةِ الرقطاء، ساعية في الخفاء. فإذا قلنا هذي عينُ الإمبريالية، قالوا بل هذي عينُ الديموقراطية. فإذا كانت الإمبرياليةُ هي الشرّ، فإنّ دعوى الديموقراطية كانت أشرّ. كلُّ هذا والأمةُ ترى وتَسْمع، فلا ترفو ولا ترقع فإذا كنتم من القصف تفرّون، فأنتم والله من الحق أفرّ!»

قال ابنُ أبي المجاهد. فو الله ما دريت؛ أأَعجبُ من وقاحته، أمْ أُعجبُ من فصاحته؟! وقد رأيتُه قبل يومين يروغ من الميدان، واليوم يَعْقد سلاسلَ البيان..

❖ ❖ ❖

وتابعَ ابنُ أبي المجاهد.

ثم وقع ما وقع، وزاد الخرقُ واتّسع، وجعلنا نكرّ على الأميركان بالليل والنهار، نُذيقهم من العلقم والمرار، فيكرّون علينا بعصافير الجوّ، في الحال وفي التوّ. يصبّون علينا اللهب، ويُحْرقون ما هَبّ ودَبّ. وإنهم على الأرض لأجبنُ من نعامة، وأوطأُ من قمامة.. يتستّرون بالدروع، ويُسْرعون في الرجوع ولا حَلّ ولا عقدَ عندهم إلا بالطائرات، ولهم أفانينُ في الآلات. يتراجعون القهقرى، إذا ما حمي الوغى. وفيهم أغرارٌ ومراهقون، لا يدرون ما يفعلون فإذا ظفرنا بأحدهم في غرّة، وأمسكْنا به في تلك المرة، بكى واشتكى، وتوسّل وترجّى. وقلنا سبحانَ الله ومعاذَ الله! أما كان رامبو بطلَ الأبطال؛ فما له الآن لا يُبْلي في القتال؟! ولكنّ التكنولوجيا، لعنها اللهُ، فعلتْ بنا الأفاعيل، وليس إلى مناضلتها من سبيل. فقوةُ الأمم العلومُ، والتخلُّفُ هو الشُّومُ. واضطُررنا إلى الفرار من الأوار، وتسلّلنا إلى البساتين والحيطان، ما بين النخيل والريحان. وتلقّفتنا بعد ذلك الأودية، وقد سَقَطتْ منّا الأردية. ودرجنا في الشعابِ مثلَ الكلاب. وكنتُ أقول في نفسي: يا لَنكاية الأعداء فينا، وقد بلينا فلا شك هم يردّدون:

فأمّا القتال لا قتال لديكم ولكنْ سيرًا في عِراض المواكب

فيالها من حالٍ تسوء الصديق، وتغمّ الرفيق!!

ثم طاف ببالي صاحبُ المسدّس والبندقية، وقائلُ الخطبة السَّنِيّة. فإذا هي أيامٌ لم أره، وسألتُ عنه فلم يَرْصدْ أحدٌ أثرَه. ورجَّحْنا حَتْفَه، وأظهر البعضُ عطفَه. وقلنا لعلّه عَلِقَ في مصادة، ورزق لحظه بالشهادة وتحرَّيْنا قليلاً، وما وجدنا للتحرّي سبيلاً ثم قمنا فصلَّيْنا صلاةَ الغائب بقلبٍ تائب ورجونا اللهَ أن يخفِّفَ من آلامه، ويَصْفحَ عن آثامه. وقلنا الآن نيمِّم شطرَ الزوراء

وأكمل ابنُ أبي المجاهد:

وفي الزوراء وجدنا الحالَ قد فسدتْ، والقلوبَ قد نكدتْ. وأُنْبِئْنا أنّ العلوجَ في المطار، وقد دنوا من الأسوار. فاستغثْنا: يا لأسوار بغداد المجيدة، يا للمدينة الوحيدة! أوَتُتْرَكُ تماثيلُ النواسي والسيّاب، للخنازيرِ وللذئاب؟! وتتركُ المساكنُ والديار ليَدْهمها التتار؟ يا لَسوء المنقلب، يا لَسوء العطب! يا لَهول الكارثة، يا لَلسُّنابك العائثة! يا للرزيئة، يا للخطيئة! يا لفضيحةِ العرب العاربة، يا للكتائب الهاربة!! يا للإدبار، يا للفرار!! أوَهكذا يفرّ الحرس، ويختفي العسس؟!

قال ابن أبي المجاهد فآليتُ أن أتوجّه ومن معي إلى حيث المعترك، ونشترك مع مَنْ يشترك، ونواجه حممَ الحِمام بصدورِ الكِرام. وما باليْنا بمن ثنانا، وحاول أن ينهانا وزعموا أنّها لمجازر، يَقْترفها جازر. فأدنينا من المطار، وإذا هو الأوار! ومرّت علينا سحابةٌ جهنمية، لم نَعْلم من أين هي. وتلوَّنَ الفضاءُ بالحمرة، عقبها لونُ سمرة وفاح الهواءُ بالبارود، وانغرس في الثَّرى عمودٌ تلو عمود وزلزلت الأرضُ زلزالَها، فبهتنا أن نقولَ ما لها! وانهمر علينا وابلُ رصاص، ولات حين مناص. فتناثَرَ مَنْ حولي تناثُرَ الذباب، ويا له من عذاب! وتقهقرتُ وأنا مأخوذ، وذهلتُ عمّن ألوذ. وتراجعتُ في نفرٍ من الناجين، مذهولين ومأخوذين فحثثنا السيرَ إلى سوادِ نخيل، في عددٍ قليل ثم جُزْنا الفراتَ إلى البلد، في أوج كبد. وقد طالت علينا الساعات، وأعيَتْنا المخارجُ والمتاهات. وألفَيْنا مَنْ يطلق علينا النار، ولكنّا لا ندري مِنْ أيّ دار؟! فاحتميْنا بالمتاريس والحُفَر، وأسَأْنا الظنَّ بمن عَبَر وأضحَيْنا نرثي لحالنا، ونحن في أسمالنا ثم هدانا الجدّ إلى وسط بغداد، وإذا هي الساعةُ ويومُ المعاد. وقلنا: هي ثورة الزنج، وبلاءُ القرامطة ولا شك..

وتابع ابن أبي المجاهد

كان يومًا ما أسوأَ من يوم! وإنّها لَفجيعة، وإنّها لَفظيعة! وانطلق الناسُ من الغد يَنْهبون ويَقْطعون، ويَقْتلون ويَبْغضون وتصاعَدَ اللهيبُ من الوزارات، ودُمِّرت المحلاّت. ولمحتُ صاحبي صاحبَ البندقيّة، يتمشّى في رويّة، ثم يَنْظر إلى الأنام باهتمام. وسرعان ما ينقضّ مع المنقضّين، ويهرول مع المهرولين، وهو يَكْمش من أوراق المال كمشات، ويصيح صيحات ودَخَلَ فغابَ في الدهاليز، ثم طلع يَحْمل قطعًا من دراهيز. فقفزتُ إليه، وأشرتُ عليه: «مكانك! ألستَ أنت صاحبَ البندقية، وقائلَ الخطبة السَّنِيّة؟ ألستَ أنتَ مَنْ حثَّنا على القتال، ودفعتنا إلى وجوب النضال؟!» قال «بلى، أنا هو وماذا تبغي وماذا تريد؟» قلت. «أن تَنْزع قناعَ النفاق، وتُلْقي رداءَ الفساق. قلْ مَنْ أنتَ، وبم آمنتَ؟» قال: «أنا عمّار ابنُ فرع الدار ألا تعرفني؟ وإني وإيّاك منذ فارقْنا الوطن، البدنُ يجاورُ البدن، في السير وفي الترحال، في السهول وفي الجبال، وفي القيام والقعود، إلى يومٍ موعود أوَلا ترى أنّي مشغول بما في يدي، وقد أضربتُ عن أمسي إلى غدي؟ وتسألني بِمَ آمنت؟! آمنتُ بالدّرهم والدينار، لا، بل باليورو وبالدولار. وقد تبدَّلَ العصر، وانتُهِكَ المَصْر. وما لنا حيلة إلا السعي وراء اللقمة، ويا لها من نقمة. والشاعر يقول. ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعةُ التي أنت فيها.»

قلتُ: «خسئتَ، والقتال؟» قال: «إلى محال » قلت: «وبغداد؟» قال «أكلها السبع وسيمشّها الضبُع » قلتُ «وخطبتُك الغرّاء، وفواصلُها الحسناء؟» «قال. محضُ كلام، وزيادةٌ في إبهام. وإنْ شئتَ فبُلَّها واشربْ ماءها. فماؤها يَنْفع لوجع القلوب، ويُغْنيك عن الحبوب.» قلت «وما هذه القطعة من الدرابزون؟ أفلا تستحي، أفلا تستحون؟» قال: «أنا أَحْملها لحِفْظها، وهم يَحْملونها لهَشْمِها. ألا ترى أنّها تحفةٌ من

آثار بابل، وقد رأيتَ الحابلَ والنابل؟ فماذا أَعْمل غيرَ أخذِها من ههنا، ونقلِها إلى ها هناك؟ وإنّك لتجدنَّها بعد عام، في متاحف أبناء العم سام. لا يهمني مَن اشتراها، وإنْ كانْ يهمني مَنْ حماها » قلتُ · «يا وضيع، تبيعها وتحميها؟ كيف يستقيم هذا المنطقُ أيُّها المتزندق، يا كذّاب يا خلاّب؟» قال· «إنما يَعْرف حقيقتَها أولئك الأقوام، لا هؤلاء الرّغام. وإنّي لأضربُ عصفوريْن بحجرٍ واحد فما رَأيك، هل مِنْ مساعد؟» قلت «كأنّي بك إبليس يا تعيس وإنّك لجنسُ شيطان في ثوبِ إنسان أَوَتدعوني لمثل هذا؟» قال

«إنّي امـــرؤ لـم أَخْلُ من بعض الدجلْ
وطريقـتي في العيش تستدعي الحيلْ
أخـشى من الإمـلاق، من ضـيقِ السـبل
لا أرعــوي إنْ لم أجــد كــيف العــمل
ولـذا، تـرى، لا بُـدَّ لـي مـن بَـدعِ حـلْ.»

قلتُ· «صَدَقْتَ يا عمّار، يا ابنَ فرع الدار، هكذا تُحمى الديار، هكذا تُصان الآثار. يا مَنْ تجشَّمَ الوعثاءَ من أجل الوطن، لستَ بالرجل الفطن لا ولا امرأ إيمان ونعرة، لا أساويكَ ببعرة » فتضاحَكَ وتماحَكَ، ثم قال «ما لي أراك كأنّك ضميرٌ حيّ، وأنت لا شي؟! أَوَ ما ترى ما آلتْ إليه الأمور، وكيف خُرِّبَتِ الدُّور؟ أَوَ ما ترى أهلَ مكة ينهبون دورهم، ويحرقون قصورهم؟! وما جريرتي إذا وافقت عشيرتي؟» قلت· «صدقتَ في هذا أيضًا، وإنْ ملأتَ قلبي غيظًا.» قال: «لا تكن إمَّعَة، وقد رأيتَ الأميركانَ ومَنْ معه.» وأنشد:

«هـذه الحــربُ ضــــروس — كلُّهـــا شـــرٌّ وبوس
شَنَّهـــا قـــومٌ لصـــوص — فِـــعْلُهم دودٌ وســـوس
قُطعتْ فـــيـــهـــا رؤوس — شُـــرِّدَتْ فـــيـــهـــا نفـــوس
لم تَعُـــدْ فـــيـــهـــا تروس — وهـي مـع ذاك بســـــوس

ســـــوءِ مَنْ لـبّى نداها — واكـــتـــوى نارَ لظاها
خـــيـــبـــة كـــان جناها — وأبـاطـيـل ســـــداها
ويلِ مَنْ كـــان ضـــراها — بالأكـــاذيب حـــشـــاها
هـــزم الحـــق وتـــاهـــا — ســـقطتْ بغـــداد. واها!»

قال ابن أبي المجاهد:

فقلتُ لعله على صواب، وإنّه من العجب العجاب. ورأيتُه يلتقط قطعةَ درابزينه، وينصرف من حينه. وغاب في الزحام، من دون إلقاءِ السلام وغمغمتُ: لا إلهَ إلا اللّه، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

تونس